بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قل اعوذ برب الفلق معناه اعوذ التجي واعتصم واتحرز والفلق هو نور الفجر
الذي يطرد الظلام وتضمنت هذه السورة المستعاذ به والمستعاذ منه والمستعيذ
فالمستعاذ به هو الله وحده رب الفلق رب الناس الذي لا ينبغي الاستعاذة الا به ولا
يستعاذ باحد من خلقه وقد اخبر تعالى في كتابه عن استعاذ بخلقه ان استعاذ قد
زاد شرهقا وهو الطغيان واحتج اهل السنة على المعتزلة فان كلمات الله غير
مخلوقة بان النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بقوله قل اعوذ برب الفلق واعوذ
بكلمات الله التامات الله غير مخلوقة بان وهو لا يستعيذ بمخلوق ابدا
والمستعيذ هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه الى يوم القيمة
واما المستعاذ منه فهو اربعة انواع الاول الشر العام في قوله من شر ما خلق
وهذا يعم كل شر في الدنيا والاخرة وشر الشياطين من الانس والجن وشر السباع
والهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى وشر النفس وشر العمل وقوله من شر
ما خلق اي من شر كل مخلوق فيه شر وليس المراد الاستعاذة من كل ما خلقه الله
فان الجنة وما فيها ليس فيها شر وكذلك الملائكة والانبياء فانهم خير محض
والشر الثاني شر الغاسق اذا وقب وهذا خاص بعد عام
والغاسق الليل اذا اقبل ودخل في كل شيء والغسق الظلمة والوقوب الدخول والسبب
الذي لاجله امر الله بالاستعاذة من شر الليل هو ان الليل محل سلطان الارواح
الشريرة وفيه تنتشر الشياطين والشياطين انما سلطانهم في الظلمات والمواضع
المظلمة ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم وذكر سبحانه في
هاتين الكلمتين الليل والنهار النور والظلمة فامر الله عباده ان يستعيذوا برب
النور الذي يقهر الظلمة وينزيلها وهو سبحانه يدعى باسمائه الحسنى فيسأل الكل
مطلوب باسم يناسبه والشر الثالث شر النفاثات
في العقد وهذا الشر هو شر السحر فان النفاثات هن السواحر اللاتي يعقدن
الخيوط وينفثن على كل عقده حتى ينعقد ما يردن من السحر والنفث هو النفخ
مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث فعل الساحر فاذا كيف تخصه
بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور وانما تعان بالارواح الخبيثة نفث في تلك
العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر مقترن بالريق
الممازج وقد تساعد هو والروح الشيطانية على اذى المسحور فيقع فيه السحر باذن
الله الكوني القدري ولما كان تاثير السحر من جهة الانفس الخبيثة والارواح

الشريره فاسبحانه من شر النفاثات بالتانيث دون التذكير وقد دل
قوله تعالى من شر النفاثات في العقد على تاثير السحر وان له حقيقة وقد انكر
ذلك طائفة من اهل الكلام وقالوا انه لا تاثير للسحر لا في مرض ولا قتل ولا حب ولا بغض
قالوا وانما ذلك تخييل لاعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواترت
به الاخبار عن الصحابه والسلف والله اتفق عليه الفقها والسحر يوثر مرضا وقتلا
وحبا وقتلا وحبا وبغضا وغير ذلك من الاثار موجوده يعرفه الناس وكثير
منهم قد علم ذوقا بما اصيب به وقوله تعالى من شر النفاثات في العقد دليل
على ان النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ولو كان الضرر لا يحصل الا
بمباشرة البدن ظاهرا كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفاثات شر يستعاذ منه
وايضا فاذا جاز على الساحر ان يسحر اعين جميع الناظرين مع كثرتهم حتى
يروا الشيء بخلاف ما هو به مع ان هذا تغير في احاسيسهم فما الذي يحيل
تاثيره في تغيير بعض اعراضهم وطباعهم وقواهم فاذا غير احساسه حتى صار
يرى الساكن متحركا والمتصل منفصلا انما التخييل لان يغير صفات نفسه حتى
يحصل المحبوب اليه بغيضا والبغيض محبوبا وغير ذلك من التاثيرات
وقد قال تعالى عن سحرة فرعون انهم سحروا اعين الناس الاية فبين سبحانه ان
اعينهم سحرت وذلك اما ان يكون لتغير حصل في المرئي وهو الحبال والعصي
مثلا ان تكون السحره استعانت بارواح حركتها وهي الشياطين فظنوا انها تحركت
بانفسها وهذا كما اذا جرا من لا يراه حصيرا وبساطا فوق الحصير والبساط تجر
ولا يرى الجار له معه انه هو الذي يجره فهذا حال الحبال والعصي قلبها الشياطين
فظن الرائي انها تقلبت بانفسها والشياطين الذين يقبلونها واما
ان يكون التغير حدث في الرائي حتى راى الحبال والعصي تتحرك وهي ساكنة
في انفسها ولا ريب ان الساحر يفعل هذا وهذا واما ما يقوله المنكرون من
انهم فعلوا في الحبال والعصي ما اوجب حركتها ومشيها مثل الزيبق وغيره
حتى سمعت فهذا باطل من وجوه كثيره

الشر الرابع شر الحاسد اذا حسد
وقد دل القران والسنه على ان نفس الحاسد يوذي المحسود فتؤثر حسده
شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وان لم يوذه بيده ولا لسانه فان الله تعالى
قال ومن شر حاسد اذا حسد فحقق الشر منه عند صدور الحسد والقران ليس فيه
لفظة مهملة تكرر وقد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لا يعنيه
فاذا خطر على قلبه انبعثت نار الحسد من قلبه اليه فيتاذى المحسود بمجرد

ذكره فان لم يستعذ بالله ويتحصن بربه ويكون له اوراد من الاذكار والادعوات والتوجه
الى الله والاقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه واقباله على الله
والا نالته شرور الحاسد ولا بد وفي الحديث الصحيح رقية جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم
وفيها باسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك
فذكر شر اعين الحاسد ومعلوم انها لا تؤثر بمجردها اذ لو نظر اليه نظر لاه
ساه كما ينظر الى الارض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئا واما اذا نظر اليه
نظر من تكيف نفسه الخبيثة وانسمت نفسه وحدت نفسا غضبية خبيثة
حاسدة اثمرت بها تلك النظرة فاثرت في المحسود بحسب ضعفه وقوة
نفس الحاسد فربما امرضه وربما قتله والتجارب بها عند الخاصة والعامة
اكثر من ان تذكر وهذه العين انما تؤثر بواسطة النفس الخبيثة وهي
بمنزلة الحية انما يؤثر فيه سمها اذا غضبت فانها تتكيف بكيفية الغضب
فتحدث فيها تلك الكيفية السم فتؤثر في الملسوع وربما قويت حتى
تؤثر بمجرد النظر وذكر في نوع منها حتى يؤثر بمجرد النظر فتطمس البصر وتسقط
الجبل كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الابتر وذي الطفيتين منها وقال اقتلوهما
وهل علم لا يعرفه الاخواص الناس وهل الا نفعال والتاثير وحدوث
ما يحدث من الاجسام الا للارواح والاجسام انما بمنزلة الصانع
فالصنعة في الحقيقة له والآلات وسايط ومن له فطنة وتامل احوال
الارواح وتاثيرها فيما وتحريكها الاجسام راى عجايب وايات دالة
على وحدانية الله وعظمة ربوبيته وان ثم عالم اخر يجري عليه احكام اخر
يشهد اثارها واسبابها غيب عن الابصار فتبارك الله رب العالمين
واحسن الخالقين والعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان
في شيء فيشتركان في ان كلا منهما تتكيف نفسه وتوجه نحو من تقصد
اذاه والعائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين ومعاينته والحاسد
يحصل حسده في الغيبة والحضور ويفترقان في ان العائن قد يعين من
لا يحسده من حيوان او زرع وان كان لا ينفك من حسد صاحبه بل
ربما اصاب نفسه وسببه الاعجاب بالشيء واستعظامه فان رؤية المعجب
للشيء رؤية تعجب ورؤية مع تكيف نفسه بتلك الكيفية يؤثر في العين
وقوله من شر حاسد اذا حسد يعم الحاسد من الجن والانس

بعد اصلاح الله ايا ها ببعث الرسل وبياه الشريعه والدعا الى طاعة الله فان فساده
غير الله والدعوة الى غيره والشرك به هو اعظم الفساد في الارض بل فساد الارض
في الحقيقة انما هو الشرك بالله ومخالفة امره قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس وقال عطيه في الاية ولا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر
ويهلك الحرث بمعاصيكم وقال غير واحد من السلف اذا قحط المطر فان الدواب
تلعن عصاة بني ادم وتقول اللهم العنهم فبسببهم اجدبت الارض وقحط
المطر فالجملة الشرك والدعوة الى غير الله واقامة معبود غيره ومطاع
متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اعظم الفساد في الارض ولا صلاح لها
ولا لاهلها الا ان يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره
والطاعة والاتباع لرسوله ليس الا لغيره انما تجب طاعته اذا امر بطاعة الرسول
فاذا امر بمعصيته فلا سمع له ولا طاعة فان الله اصلح الارض برسوله ودينه
وبالامر بتوحيده ونهى عن افسادها بالشرك به ومخالفة رسوله ومن تدبر احوال
العالم وجد كل صلاح في الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله
وكل شر في العالم وفتنة وبلا ومحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة
الرسول والدعوة الى غير الله ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الامر
كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا ولا قوة الا بالله

وقوله ادعوه خوفا وطمعا انما ذكر الامر بالدعا لما ذكره معه
من الخوف والطمع فامر اولا بدعائه تضرعا وخفية ثم امر ايضا ان يكون
الدعا خوفا وطمعا وفصل بين الجملتين بجملتين احداهما
خبرية ومتضمنة للنهي وهي قوله انه لا يحب المعتدين والثانية
طلبية وهي قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها والجملتان مقررتان
للجملة الاولى موكدان لمضمونها ثم لما تم تقريرها وبيان ما يضادها
امر بدعائه خوفا وطمعا ثم قرر ذلك واكد مضمون الجملة بقوله وادعوه
خوفا وطمعا لتعلق قوله انه لا يحب المعتدين بقوله ادعوا ربكم
تضرعا وخفية ولما كان قوله وادعوه خوفا وطمعا مشتملا على اجمع
مقامات الايمان والاحسان وهي الحب والخوف والرجاء عقبها بقوله ان رحمت
الله قريب من المحسنين اي انما تنال من دعاه خوفا وطمعا هم المحسنون
والرحمة قريب من المحسنين منه لان مدار الاحسان على هذه الاصول
الثلاثة ولما كان دعا التضرع والخفية يقابل الاعتداء بعدم التضرع

والخفية

والخفية عقب ذلك بقوله انه لا يحب المعتدين وانتصاب قوله تضرعا وخفية
وخوفا وطمعا على الحال اي ادعوه متضرعين اليه مختفين خائفين مطمعين
وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين فيه تنبيه ظاهر
على ان فعل هذا المامور هو الاحسان المطلوب منكم ومطلوبكم انتم
من الله رحمته ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما امروا به من دعايه
تضرعا وخفية وخوفا وطمعا فقرب مطلوبكم منه وهو الرحمة بحسب ادائكم
لمطلوبه منكم وهو الاحسان الذي هو في الحقيقة احسان الى انفسكم فان الله
هو الغني الحميد وان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين له دلالة بمنطوقه ودلالة بايمايه وتعليله ودلالة
بمفهومه فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من اهل الاحسان ودلالة
بتعليله وايمايه على ان هذا القرب مستحق بالاحسان وهو السبب في قرب
الرحمة منهم ودلالته بمفهومه على بعده من غير المحسنين فهذه ثلاث دلالات
لهذه الجملة وانما اختص اهل الاحسان بقرب الرحمة منهم لانها احسان
من الله ارحم الراحمين واحسانه تعالى انما يكون لاهل الاحسان لان الجزاء من جنس
العمل وكلما احسنوا بما عاملهم احسن اليهم برحمته وامن لم يكن من اهل
الاحسان فانه لما بعد من الاحسان بعدت عنه الرحمة بعد ببعد وقرب
بقرب من تقرب اليه بالاحسان تقرب الله اليه برحمته ومن تباعد عن
الاحسان تباعد الله غنه برحمته والله سبحانه يحب المحسنين ويبغض من
ليس من المحسنين ومن احبه الله فرحمته اقرب شيء منه ومن ابغضه الله
فرحمته ابعد شيء منه والاحسان ههنا هو فعل المامور به سواء كان احسانا
الى الناس او الى نفسه فاعظم الاحسان الايمان والتوحيد والانابة الى الله
تعالى والاقبال عليه والتوكل عليه وان يعبد الله كانه يراه اجلالا ومهابة
وحياء ومحبة وخشية فهذا هو مقام الاحسان كما قال صلى الله عليه
وسلم وقد سأله جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فاذا كان
هذا هو الاحسان فرحمة الله قريب من صاحبه وهل جزاء الاحسان الا
الاحسان يعني هل جزاء من احسن في عبادة ربه الآن يحسن ربه
اليه قال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء محمد صلى الله عليه وسلم
الا الجنة وقد ذكر ابن ابي شيبة وغيره من حديث الزبير بن عدي عن
انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان

ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء
من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة اخر الكلام على الاربعين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم
النبيين وعلى الله توكل
وبه استعين